الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهرون حينئذٍ معه في المجد* فأَمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وَثَنٍ* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ الله على أبناءِ العِصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِب بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسان الجديد الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِهِ* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

مَثَل العشاء العظيم

يروي لنا الإنجيل الشريف أن الرب يسوع لمّا أعطى هذا المَثَل (لو ١٤: ١٦-٢٤)، الذي نحن بصدده اليوم، كان في بيت أحد رؤساء الفرّيسيين، مدعوّاً إلى مائدته. وأن المدعوّين، وهم بطبيعة الحال كمضيفهم ناموسيون وفرّيسيون، كانوا يترصّدونه (لو ١٤: ١). أي أنّهم كانوا يصغون إليه لا ليغتنوا من تعاليمه وكلامه المُحيي بل علّهم يمسكون عليه ولو أصغر زلّة إزاء الشرع الإلهي. سوء نواياهم لم يكن خافياً على الربّ يسوع لكنّه يشتهي خلاصهم هم أيضاً. لذا، وبعدما وعظهم في التواضع والضيافة المُحِبَّة إذ كان «يراقب تخيّرهم أول المتكآت» (١٤: ٧-١٤)، انتقل بهم إلى مستوى أعمق فكان مَثَلُ العشاء العظيم. وكعادته كلّما علّم بالأمثال، استعار الرب يسوع مَثَلَه من ثقافة يعرفها الفرّيسيون والناموسيون جيّداً. ففي كتاب التلمود، وهو مجموعة تعاليم وتقاليد وتفاسير دينية جمعها معلّمو اليهود على مدى مئات السنين، قصة تشبه كثيراً ما في مَثَل العشاء العظيم.

تروي القصة هذه أن عشّاراً ثرياً توفّي فأقيم له في المدينة مأتم عظيم وترك الناس بيوتهم وأعمالهم ليشيّعوه، وفي الوقت نفسه مات واحد من الكتبة، وكان بالغ التقوى لكنّه فقير، فلم يهتمّ له أحد من الناس. أما كيف سمح الله بأن يُكرَّم العشّار (المحسوب في نظر الناس أسوأ الخطأة) يوم مماته، فتروي القصة أن هذا الرجل كان، قبيل موته بقليل، قد صنع وليمة كبيرة دعا إليها أعيان المدينة علّه يكسب ودّهم، لكنّهم تمنّعوا. فأمر إذذاك أن يوزَّع الطعام على الفقراء لا من أجل ألاّ يُتلَفَ الطعام وحسب، بل وكأنّه أيضاً يقول لأعيان المدينة «هؤلاء الذين كانوا مُهَمَّشين باتوا أحقّ منكم بالجلوس إلى مائدتي». من أجل هذا العمل الصالح، ولو لم يكن بدافع المحبّة المجرَّدة، سمح الله بأن يُكَرَّم العشار في مأتمه. وها هم الذين أنفوا من الجلوس إلى مائدته، يتركون بيوتهم ويعطّلون أعمالهم للمشاركة في مأتمه. تجدر الإشارة إلى أن مَثَل العشاء العظيم هو أحد الأمثلة التي أراد بها الرب يسوع الإعلان عن مدى حنان الله ورأفته إزاء الخطأة. كأمثال الابن الشاطر، الفريسي والعشّار، الخروف

العدد ٢٠١٤/٥٠

الأحد ١٤ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار الشهيد تيرسس ورفقته

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الخامس

الضائع ...

مَثَل العشاء العظيم المتلو علينا في الكنيسة اليوم، يخاطب كل واحد منا شخصياً، وليس عبثاً أن الكنيسة المقدسة جعلت ترتيبه قبل عيد التجسّد الإلهي بأيام. يبدأ المثَل بـ«إنسان صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين»، وعبارتا «عظيماً» و «كثيرين» تفيدان الغنى والوفرة. هذا هو «عشاء عرس الحمل» و «وليمة الله الكبرى» المُشار إليهما في سفر الرؤيا (١٩: ٩ و ١٧). هو عشاء الفرح والبهجة والتمجيد «لأن الربّ الضابط الكل قد ملك»، أي وليمة الفرح بخلاصنا الحاصل بتجسّد المسيح، والبهجة بأن طبيعتنا ما عادت أسيرة الشر بل صارت قابلة للاتحاد بالله، ووليمة تمجيدنا لله الذي أحبّنا حتى هذا المقدار. وليمة الخلاص هذه إذاً، محورها وأساسها المسيح ولولاه لما كانت. ولأن المسيح ليس فلسفة فكرية أو مجموعة تعاليم اجتماعية أو حتى دينية بل هو الإله الحقيقي الذي أتى إلينا متجسّداً لتبقى ألوهته عندنا، وهو مستمرّ في إنجيله وحياة كنيسته، يكون المعنى العملي الوحيد لتلبية الدعوة هو التزام الإنجيل، أي العمل حصراً بمقتضاه، وَعَيش حياة الكنيسة بأسرارها الإلهية وعِشرة قدّيسيها. لما شاء ربُّنا أن يحقّق للخليقة الخلاص فعل ذلك مدعوّاً من ذاته، من محبّته ورحمته وحنانه، وهو المبادر. هذه هي الدعوة إلى «العشاء العظيم».

أما تلبية الدعوة، فشأن آخر: «أنظرْ، قد جعلْتُ اليومَ قُدَّامَكَ الحياةَ والخير، والموتَ والشَّرَّ»، يقول الربّ (تث ٣٠: ١٥). أي أن الله يمنحنا ملء الحرّية بل ويلزم نفسه بها. من جهة أخرى، نرى الله يضع بين يدينا أيضاً كل ما يلزم لنا، لنتعلّم حُسن الاختيار. حتى الدعوة تبقى مفتوحة ومتاحة وتتجدّد، لأنّ مشيئة الله ألّا يبقى أحد خارج عرس الخلاص.

درجت العادات الشرقية قديماً أن يعمد المضيف إلى تكرار الدعوة، يوم العشاء، من باب الزيادة في مجاملة ضيوفه وإكرامهم. وفي مَثَل العشاء العظيم، دعا المضيف إلى عشائه كثيرين، ثم عاد «وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوّين تعالوا لأن كل شيء قد أعدّ». هذه الـ«تعالوا لأن كل شيء قد أعدّ» فسّرها القديس بولس الرسول إذ قال «ها هوذا الآن الوقت المَرْضي، وها هوذا الآن يوم الخلاص» (٢ كو ٦: ٢)، في حياة الكنيسة لا نفهمها لحظة آنية محدودة في زمن ما، وإلا لما كان لعبارة «الآن» معنى. المقصود إذاً أنّه من جهة الله تعالى، صاحب الدعوة، «كل شيء قد أُعدّ» من أجل الخلاص. ومن جهة المدعوّين، نحن البشر، كل وقت هو وقت مَرْضي وكل يوم هو يوم خلاص ... شرط أن نلبّي الدعوة. أما صورة مأساتنا فتظهر واضحة في «ابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون» على ما يقول النص. طبعاً تنوّعت ذرائعهم بين هذا وذاك ولكن إجماع الكلّ على الاستعفاء وتوقيته يدلّ، أيضاً بشكل واضح، على ازدراء المدعوين لا بالوليمة وحسب بل وبداعيهم إليها أيضاً. واحدٌ يتذرّع بضرورة الذهاب ليرى حقلاً اشتراه، علماً أن معاينة الأرض تحصل قبل الشراء وليس بعده، وفي كل الحالات ليس في وقت العشاء. هذا لم يشترِ أرضاً بل باع نفسه للأرض، أي إنّه صار عبداً لمقتنياته الأرضية وثرائه وأعماله... الثاني لا يتذرّع بأي ضرورة إذ يقول «أنا ماضٍ»، أي أنا

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦-٢٤)

قالَ الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنعَ عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاء يقولُ للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِقَ كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستعفون. فقال له الأول قدِ اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألُك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قدِ اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبها فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّده بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدهِ اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّد قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد اخرُج إلى الطُّرق والأسيجة واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّه لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئك

الرجال المدعوين. لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

«اطرحوا الكل الغضب والسخط والخبث والتجديف والكلام القبيح من أفواهكم، ولا يكذب بعضكم بعضاً».

وضع الله قانوناً في الإنسان وهو الضمير، الذي يُعلمه بما هو الخير وما هو الشرّ. لذلك يرفض الذين يخطئون أن يُدعوا على أساس أعمالهم الشريرة بسبب إحساسهم بالذنب وخجلهم الداخلي. على سبيل المثال، إن ناديت إنساناً يزني: «أيها الزاني»، سيبدو له الأمر مستنكراً، مع أنّه يفرح عندما يفعل الزّنى. وإن قلت لآخر يحنث باليمين: «يا ناقض اليمين»، سيشعر بالإهانة مع أنّ وصفه مطابق لأعماله. فإن كان يعتقد بأنّ الخطيئة هي أمر جيّد، فلماذا تزعجه الكلمة التي تُعبّر عمّا يفعله تماماً؟ على العكس، إن قلتَ لإنسانٍ عاقل «يا عاقل»، فلن يخجل ولن ينزعج. وإن ناديت إنساناً بارًا: «أيّها البارّ»، فلن يشعر بالإهانة ولن يحزن. أكثر ما هنالك، انه يمكن ألاّ يتقبّل الوصف بسبب التواضع والاتّزان اللذين يميّزان البارّ، لكنّ نفسه ستفرح بالإقرار بأعمال البرّ التي يقوم بها.

قررت وسأفعل بحسب رأيي. هذا الممتلئ من ذاته إلى حدّ أنه صار لإرادته الشخصية عبداً، ففقد حس التمييز. فدادين البقر تُمتَحن قبل الشراء وليس بعده، في الصباح وليس في آخر النهار. أما ذريعة الثالث فأنّه قد تزوّج، واللافت أنه الوحيد بين الثلاثة الذي لم يعتذر بل اكتفى بقوله «لا أقدر أن أجيء». قد يبدو أنّه بين الثلاثة كان الأوقح. أما في الحقيقة فهو بين الثلاثة كان الأصدق وربما هو الأوحد الذي تخلّف لعلّة ممدوحة، للإهتمام بعائلته. لكن يوميات حياته واهتمامات دنياه صارت ملاصقة له كظلّه، وبدلًا من أن يحملها إلى الله فيقدّسها تركها تثقل عليه حتى ما عاد قادراً أن يأتي إلى الله.

يختم الربّ يسوع المَثَل بإعلان قاس إذ يقول «ليس واحد من أولئك الرجال المدعوّين يذوق عشائي». يقول القدّيس غريغوريوس الكبير إن هذا الإعلان الختامي قد يبدو للوهلة الأولى ردَّ فعل غاضباً أو انتقامياً من قِبَل الله. هو ليس كذلك البتة وحاشا أن يكون الله تعالى انفعالياً. معنى هذا الإعلان أنّه كلّما ظنّ الإنسان نفسه قريباً من الله كلّما كان تجاهله لدعوات الله ازدراء، وأسوأ ما في هذا أنّه حتى رغبة العودة إلى الله تموت فيه. إذذاك يكون حقاً قد فات الأوان.

أحد الأجداد

في الأحد الثاني قبل ميلاد الرب يسوع بالجسد تقيم الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدّسة تذكاراً جامعاً للأجداد القدّيسين. هو واحدٌ من الأعياد الكنسيّة التي تذكّر المؤمن بالرابط الذي يربط أبناء العهد الجديد بقدّيسي العهد القديم وأنبيائه. إذا ما أنصتنا إلى قطع صلاة الغروب ندرك أنّ هذا العيد يجمع الآباء الذين قبل الشريعة والذين هم بعد الشريعة وصولاً إلى النبيّ السابق يوحنّا المعمدان.

يحيي هذا التذكار الشركة التي تجمع أبناء الكنيسة بمن سبقوهم إلى القداسة في العهد القديم. تكمن أهميّة العيد في أنّنا نستذكر القدّيسين ونكرّمهم لكي نتعلّم منهم القداسة، ونتعلّم أن نحبّ أحدنا الآخر أيضاً إضافةً إلى التعاون في سبيل بنيان جسد الكنيسة. تعاونٌ يتعلّمه المؤمن من خلال روايات العهد القديم حيث الأنبياء أرشدوا وأدّبوا الملوك، والآباء القدّيسون اعتنوا أحدهم بالآخر على غرار ابراهيم واسحق ويعقوب، ونوح الذي أدخل الخليقة إلى الفلك لتخلص من الطوفان.

تاريخ شعب الله وعلاقة الشعب بالله تمحورت من الناحية البشريّة حول عناية الشعب بعضهم ببعض، وتقرُّب الشعب من الله المبني على إكرام واجبٍ لله وتطبيق وصيّته «أحببْ قريبك كنفسك».

في الكنيسة اليوم، الشعب المؤمن مدعوٌّ إلى التكاتف والتضامن في سبيل البنيان والقداسة. أبناء الكنيسة على اختلاف مراتبهم ومشاركتهم في العمل الرعائي مسؤولون أحدهم عن الآخر. هذا الكلام لا ينحصر في إطار الوعظ بل يجب أن يتعدّاه إلى التطبيق في حياتنا اليوميّة ليصبح واقعاً. الأسقف هو أوّل شخص في الجماعة المسيحيّة مدعوٌّ إلى العنّاية بأبنائه، عناية هي في صلب عمله الرعائي إذ كما نسمع في خدمة السيامة

الأسقفيّة أنّه سوف يُسأل في اليوم الأخير عن كلّ نفسٍ من أبناء رعيّته إذا ضلّت. الكاهن بدوره مسؤولٌ عن نموّ أبناء رعيّته نموّاً روحيّاً ومن واجبه أن يتنبّه إلى أيّ مشكلةٍ قد تهدّد أبناء الرعيّة التي انتدب عليها. هذه المهمّة، العناية بالآخر، تتعدّى الإكليروس في الكنيسة لتكون من واجبات كلّ مؤمن. واجباتٌ تحدّث عنها الرب يسوع إن من خلال الأمثلة التي أعطاها أو من خلال التعليم بالأعمال التي قام بها. لكنّ المشكلة تكمن في عدم فهم المؤمن للسبيل الذي عليه أن يسلكه لموازرة الآخر وقيادته إلى الله.

باستطاعة المؤمن أن يشرح محبّة الله ويظهرها للآخر من خلال الكتاب المقدّس. نحن مدعوّون على مثال الأنبياء إلى نشر كلمة الله وإظهار وجود الله في حياة الإنسان لمن لا يدرك هذا الوجود. الأنبياء تحدّثوا في جماعاتٍ ضالّة ويوحنّا المعمدان كان صوت صارخٍ في البرّيّة (لو ٣: ٤)، يبشّر قلوباً تغرّبت عن الله وأضحت مقفرة كالبريّة. حين يرشد المؤمن غير المؤمنين إلى علامات وجود الله في حياتهم ينتبه هؤلاء إلى عناية الله بهم فتزداد النعمة الإلهيّة بتجاوب الإله مع المبادرة البشريّة لأنّه الحاضر في كلّ مكانٍ والمنتظر على الباب يقرع. تغيّر العنايةُ الإلهيّة النفسَ وتؤازرها في التوبة من خلال المحبّة والنعمة الإلهيّة التي يشعر بها الإنسان عند هذه النقطة. تحوّلٌ يتحدّث عنه الرسول بولس حين يقول «تغيّروا عن شكلكم بتغيير أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله المرضيّة الكاملة» (رو١٢: ٢٠). هذا التحوّل يصيب الإنسان في فكره وقلبه وأعماله.

هذه العناصر الثلاثة، الفكر والقلب والأعمال تقود الإنسان إلى الله. لو تغيّر العقل فقط، لن يكون ذلك كافياً لأنّ الإنسان حينئذٍ سيكون كالشيطان الذي يعرف الحقّ دون أن يطيعه فيظلّ بعيداً عن الله. مجرّد معرفة الحقّ ليست أمراً كاملاً لأنّه ينقصها إقتران المعرفة بالأعمال المرضيّة. يجب على الإنسان أن يقرن العقل بالتصرّفات لأنّ «كلّ من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبّهه برجلٍ عاقلٍ بنى بيته على الصخر» (مت٧: ٢٤). كذلك إذا حصل التغيير على مستوى التصرّفات فقط هو أمرٌ ناقص، لأنّنا حين نؤدّي واجباتٍ أو حركاتٍ أو طقوس من دون إيمانٍ حقٍّ بالربّ يسوع نكون أشبه بمنٍ يؤدّي دوراً مطلوباً منه أن يؤدّيه. إنّنا مدعوّون إلى جانب الإيمان والأعمال إلى أن نسلّم قلبنا للعِشرة الإلهيّة، «يا بنيّ أعطني قلبك» (أم ٢٣: ٢٦).

كلّ تبدّلٍ في حياة الإنسان يتأثّر بمحيطه وبالإرادة الشخصيّة. وفي الصوم الميلادي المقدّس تحثّنا الكنيسة، من خلال تذكار هؤلاء الأجداد الذين سبقونا في ميدان الجهاد، إلى تنقية الذات بالتمثّل بالقدّيسين والعناية بالآخرين لنبلغ إلى السجود عن استحقاقٍ للطفل المولود في مغارة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

فضلاً عن ذلك، أيّ سوء لا يظهر في وجهه الحقيقيّ، دائماً يقترض مظهر الفضيلة. فعندما يتفوّه الكاذب بالأكاذيب، يدّعي أنّه يقول الحقيقة، وعندما يدبّر الخدّاع المكائد، يتظاهر بأنّه شريف وصادق، وعندما يسعى الواشي إلى الفساد، يزعم أنّ اتّهاماته موثوقة.

لكنّ نفس كل إنسانٍ، ولو كانت ملوّثة حقًّا بالشّرّ، إلاّ أنّها تسعى إلى الكلمة الطيبة. على سبيل المثال، غنيّ قاس وطمّاع، ولا يفكّر بأيّ أمر آخر سوى الخطف والظّلم، ربما يرحم فقيراً أو أحد المدينين له إن كان ذاك يلاطفه ويمدحه، أي الذي لا يزعجه بذكر السيئات التي لديه فعلاً بل ينسب إليه الفضائل التي لا يملكها قائلًا له أيضاً: «أنت إنسان جيّد ورحيم ورحمتك تستحقّ الإعجاب. والجميع يتحدّث عن أعمالك الصالحة»، وما إلى ذلك. مثل كلمات الإطراء هذه، تجعل الشرير صالحاً، والقاسي لطيفاً، والظالم رحيماً، والمتصلّب ليّناً. وهكذا يُغلب الشرّ بإطراء الفضيلة. إنّ الشرير لا يريد أن يسمع أيّ تلميح عن شرّه، لأنّ طبيعته الإنسانيّة تفضّل ما يلائمها إن كان ميله ينحو إلى العكس.

القديس يوحنا الذهبي الفم